كتابة الذات وتمثلاتها

تشكيل تصورات عن الذات:
قراءة أدبية في سيرة كوكب حفني ناصف

هدى الصدة

تتناول هذه الورقة السيرة الشفاهية لكوكب حفني ناصف، وهى امرأة مصرية درست الطب ومارسته في النصف الأول من القرن العشرين. ويعد هذا البحث جزءاً من مشروع أكبر تقوم به مجموعة من الباحثات المصريات في ملتقى المرأة والذاكرة لتوثيق سير حياة نساء مصريات ساهمن في الحياة العامة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من أجل بناء مكتبة تاريخ شفاهي للنساء المصريات.

يستند مشروع أصوات النساء المصريات إلى افتراض أساسي عن أهمية التاريخ الشفاهي في الوقت الحالي لدعم المحاولات الجارية لتحسين وضع المرأة في المجتمع. التاريخ الشفاهي هو التاريخ الذي يعتمد على الروايات الشفاهية للناس الذين لم تسلط عليهم الأضواء، وعن مظاهر الحياة في مجتمعاتهم، ولا يعتمد، كما هو الحال بالنسبة للتاريخ الرسمي، على الوثائق الرسمية التي تعتبر المصادر الرئيسية للتأريخ بشكل عام. هؤلاء الناس هم الناس البعيدون عن السلطة، هم الناس الذين لا يرد ذكرهم في المصادر الرسمية التي تهتم في الأساس بمن هم قريبون من النخبة الحاكمة في فترة معينة. وفي الأغلب كانت النساء من المجموعات المهمشة في التاريخ الرسمي بشكل عام، ومن ثم أصبح التاريخ الشفاهي للنساء من أهم المصادر المتاحة للإنصات إلى أصوات النساء التي ظلت صامتة طويلاً، كما تحولت هذه المصادر التاريخية البديلة إلى وثائق هامة لإلقاء الضوء على بعض الجوانب المطموسة في تاريخنا الاجتماعي والسياسي بشكل عام.

في مصر والعالم العربي، لعبت النساء دوراً بالغ الأهمية في الجزء الأول من القرن العشرين لا نعرف عنه إلا القليل. تم التركيز على شخصيات معينة، وتجاهل شخصيات أخرى لأسباب سياسية واجتماعية. أما بالنسبة للشخصيات النسائية التي كان لها حضور واضح ومعروف، فنجد أنه في معظم الأحيان، يتم التركيز على جوانب معينة من الشخصية، وتجاهل جوانب أخرى قد تكون على درجة عالية من الأهمية. بالإضافة إلى ذلك، لا يلتفت التاريخ الرسمي إلى مساهمات النساء غير المشهورات، بالمعنى الإعلامي للكلمة، ومن ثم يتم استبعاد تجارب كثيرة غنية ودالة.

ولهذا، وباعتبارنا من النشيطات في مجال حقوق النساء، نهتم بإحياء ذاكرة النساء، وتسليط الضوء على إنجازات النساء، وعلى أدوارهن المتعددة في المجتمع، وذلك من أجل مقاومة التصورات السائدة عن دور المرأة ومكانتها في المجتمع. وباعتبارنا باحثات، نهتم بقضايا الهوية، وتشكيل الذات وتحديد معالمها، كما نعي مخاطر صياغة تصورات جوهرية وجامدة عن «الآخر»، في سياق ثقافي وسياسي مليء بعمليات إنتاج واستهلاك لذوات تمثيلية representative subjectivities. بعبارة أخرى، نحن دائما معنيون بمساءلة الافتراضات النظرية والعملية لمشروعنا وإعادة النظر في منطلقاتنا.

ولقد نما الاهتمام بتاريخ النساء الشفاهي ضمن الاهتمام البحثي العام بكتابات المرأة، أو بكافة أشكال التعبير عن أصوات النساء استجابة للمطلب النسوي لاستعادة أصوات النساء في عالم المعرفة. وبعد أن بذلت مجموعات كبيرة من الباحثات النسويات مجهوداً كبيراً في تقديم أو توصيل أصوات النساء إلى المجال العام، وذلك من خلال التركيز على تجارب النساء، ووجهات نظرهن في عرض رؤيتهن عن العالم، ظهرت أسئلة جديدة حول كيفية قراءة أو فهم أو تفسير التجارب المعبر عنها. أي كيف نفهم أشكال التعبير المعقدة والمتداخلة عن الذات؟ إلى أي مدى يتسنى لنا أن ننتهي إلى استنتاجات عامة من واقع التجارب الفردية؟ ما هو السبيل إلى تفادي قولبة التجارب في أطر جوهرية؟ أو عندما نقول المرأة، أو المرأة المصرية، أو المرأة العربية، ما هي ماهية تلك المرأة؟ وهل يوجد بالفعل امرأة عربية واضحة المعالم، ومتميزة عن نساء أخريات في أماكن أخرى؟ في مقالة مهمة، تحذر المؤرخة جون سكوت Joan Scott من مخاطر تقديم «التجربة» باعتبارها حقيقة، أو

معبرة عما هو حقيقي، وتطرح فكرة «التركيز على عمليات إنتاج الهوية، والتأكيد على التجربة باعتبارها خطاب، ومن ثم الالتفات إلى سياسات التشكيل في حد ذاتها.»[1] تنبهنا سكوت إلى تاريخية التجربة، والى أهمية التركيز على تفاصيل السياق الدقيقة، والى المادة النصية التي تؤثر على عملية تعريف الذات والهوية.

وحول القضية ذاتها، تتساءل جاياترى سبيفاك Gayatri Spivak ما إذا كان في استطاعة الصوت المهمش الحديث أن يتم الاستماع إليه، على الرغم من الأنساق الثقافية السائدة التي قامت بتحديد قواعد الخطاب الذي يوجه المعنى والوعي، ويشكل معالمهما.[2] شكل تساؤل سبيفاك تحدياً خاصاً لمؤرخي التاريخ الشفاهي، الذين يحاولون استعادة أصوات النساء من خلال تدوين سيرهن الشفاهية، والعمل على إتاحتها إلى جمهور كبير. لقد نبهت سبيافاك إلى قضيتين محورتين: الأولى تتعلق باحتمالات نجاح المتحدثة في التعبير عن نفسها وفي تشكيل ملامح ذاتها داخل إطار الخطابات السائدة. أما الثانية، فتتعلق بالأثر الناتج عن كون الباحثة، أو المناقشة، أو مؤرخة التاريخ الشفاهي، تقوم بدور وساطة بين الصوت والعالم. هناك العديد من السرديات الكبرى التي تتدخل في عملية إنتاج المعاني المرتبطة بسيرة حياة امرأة مصرية، كما تتدخل في عملية استقبال المعاني وفهمها. مازلنا متأثرين بخطاب الحداثة العربي، الذي تحول إلى سردية كبرى يقبلها ويعيد إنتاجها المؤرخون الحداثيون. ومن ناحية أخرى، فلقد نجحت النظرية النسوية ونظرية ما بعد الاستعمار في تزكية سرديات كبرى أخرى عن أدوار النساء في تاريخ الشرق الأوسط. ويظل السؤال، كيف لنا أن نقرأ ونستنبط معاني من السير الشفاهية لكي نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات العربية، خاصة فيما يتعلق بوضع النساء؟

سيرة كوكب حفني ناصف

ولدت كوكب حفني ناصف سنة 1905، وكانت الإبنة الصغرى لعائلة مصرية من الطبقة المتوسطة مكونة من الأم والأب وثلاث بنات وأربعة أولاد. عاشت وسط

---

(1) Joan Scott, "Experience" in **Critical Inquiry** 17 (Summer 1991), p. 794.

(2) Gayatri Spivak, "Can the Subaltern Speak?" in **Marxism and the Interpretation of Culture**, ed. Cary Nelson and Lawrence Grossberg (Urbana and Chicago: University of Illinois Press, 1988), pp. 271-313.

عائلة تقدس التعليم، ونجحت في توفير بيئة دافئة ومشجعة لأفرادها. كان أبوها حفني ناصف (1855–1919) من الشخصيات البارزة في المجتمع المصري. كان معلما، وقاضيا، ومفتش تعليم، كما كان ضمن مؤسسي الجامعة المصرية. كان أيضا يكتب الشعر، ويعطي من وقته للاشراف على تعليم أولاده وبناته. كوكب هي أيضا الأخت الصغرى لملك حفني ناصف، وهي من رائدات الحركة النسائية في مصر. كان لملك مكانة خاصة في عائلتها، مما جعل موتها في سن مبكرة صدمة هائلة لعائلتها، خاصة أبيها الذي توفي بعدها ببضعة أشهر. أما أمها، فتتذكر كوكب قوتها وعزيمتها، حيث كانت تشجع أولادها على الاستمرار في طريقهم بالرغم من الصعاب التي تواجههم، كما نجحت الأم في الحفاظ على تماسك العائلة تحت وطأة ظروف سياسية ومعيشية قاسية. كانت العائلة بشكل عام مرتبطة ارتباطا جذريا بالحياة السياسية في ذلك الوقت، كما كانت تتميز بارتفاع مستوى التعليم لأفرادها. فعلى سبيل المثال، كانت ملك (1886–1918) خطيبة ماهرة وكاتبة مقالات تنشر في الجرائد والمجلات في أوائل القرن العشرين، فأثرت على أجيال لاحقة من النساء العربيات. عمل جلال الدين (1889–1960)، وهو الأخ الاكبر محامياً ثم قاضياً. أما مجد الدين (1891–1978) فعمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، وقام بتأليف كتب عديدة، كما قام بترجمة أعمال عالمية. عملت حنيفة (1898–1973) مدرّسة، وترقت إلى درجة مفتش في وزارة التربية والتعليم. درس عصام الدين (1900–1970) الزراعة في ألمانيا، ثم عمل مدرّساً، وله مؤلفات كثيرة عن تاريخ الأديان. وكان صلاح الدين (1902–1977) مستشاراً في وزارة الصحة. سنة 1922، حصلت كوكب على منحة لدراسة الطب في إنجلترا، لتعود إلى مصر في 1930 وتصبح من أوائل النساء اللاتي مارسن مهنة الطب في العصر الحديث.

ومن ناحية أخرى، انخرط معظم أفراد هذه العائلة في العمل السياسي ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، وكان لهم مواجهات كثيرة مع ممثلي الاحتلال. عانى حفني ناصف من النقل المتعسف إلى مناطق نائية في الدولة، لإبعاده أو إرهابه. تعرض كل الأولاد الذكور إلى الاعتقال السياسي، خاصة مجد الدين الذي مثل أمام محكمة عسكرية كادت أن تحكم عليه بالإعدام. دخلت ملك في معارك سياسية واجتماعية حول قضية وضع المرأة في المجتمع. كادت كوكب أن تفقد المنحة الدراسية التي رشحت لها بسبب ما عرف عنها وعن أسرتها من معاداة الوجود

الإنجليزي في مصر. أما الأم، سنية، فاعتادت حملات التفتيش التي كان يقوم بها البوليس بصفة شبه دورية لبيتها بحثاً عن أدلة تدين أحد أفراد أسرتها، فابتدعت أسلوباً للمقاومة يعتمد على السخرية من الموقف، والتظاهر بعدم المبالاة أو الانزعاج، فتروي كوكب كيف كانت أمها تدعو الجنود إلى تناول الطعام بصوت ساخر لاذع.

ذهبت كوكب إلى مدرسة السنية الشهيرة، وهي من أوائل المدارس الحكومية للبنات في مصر، تأسست سنة 1889. عندما اندلعت ثورة 1919، شاركت كوكب، وهي ما زالت تلميذة في المدرسة، في المظاهرات ضد الاحتلال، ولعبت دورا فعالا في تعبئة التلميذات الأخريات. ولهذا السبب، قررت ناظرة المدرسة، السيدة هاردينج، طرد كوكب وزميلتها منيرة روفائيل، ووصفتهما بأنهما «زعيمتا المشاغبات». 1919، «كانت سنة سودا» كما تتذكرها كوكب، فلقد عانت الأسرة من الوفاة المفاجئة لفردين من أفرادها، وكان لها أخان في السجن، وكان على البقية تحمل تحرش البوليس. دخلت كوكب مدرسة الحلمية في نهاية العام، بمساعدة أصدقاء والدها في وزارة التربية والتعليم. ولكن، نقلت السيدة هاردينج إلى مدرسة الحلمية أيضا، واستمرت في معارضتها لمنح كوكب بعثة دراسية إلى إنجلترا. «قالوا لمس هاردينج، ما تخافيش على الحكومة البريطانية. مش حتقدر كوكب تقلبها»، تتذكر كوكب.

وعن ذكرياتها في مدرسة الحلمية، تقول كوكب: «كنا عفاريت.» ثم جاءت بعثة كيتشنر لدراسة الطب في إنجلترا. تتذكر كوكب أن ممارسة مهنة الطب كانت من أحلامها، لأنها عندما طلب منها كتابة موضوع عن أمنياتها في المستقبل، كانت دائما تتمنى أن تصبح طبيبة. مرة أخرى، وقفت مس هاردينج في طريقها، وعارضت منحها البعثة. نصحها موظفون في الوزارة بتحسين علاقتها مع مس هاردينج، أو تمشّي حالها معاها وتسايسها» إلى أن تحصل على الترشيح الرسمي للبعثة. نجحت في النهاية في الحصول على البعثة وسافرت إلى إنجلترا سنة 1922. تستمتع كوكب باستعادة ذكرياتها عن فترة البعثة، باعتبارها فترة سعيدة. أمضت في إنجلترا عشر سنوات، صعبة ولكن مجزية على أكثر من مستوى. تعقد كوكب مقارنات كثيرة بين الإنجليز في إنجلترا، والإنجليز في مصر. كانوا «حاجة تانية». تشكر العائلة التي أقامت عندها خلال فترة دراستها، فكانوا يحترمونها ولم يحاولوا قط التأثير على

أفكارها أو معتقداتها. قارنت هذا الموقف بموقف الإرساليات التبشيرية في المدار
الإنجليزية في مصر، حيث كانت المدرسات تحاول التأثير على التلميذا
المصريات. عادت إلى مصر سنة 1932، وعملت في مستشفى كيتشنر.

سنة 1938، طلب الملك عبد العزيز آل سعود من علي ابراهيم باشا ترشي
طبيبة لمعالجة النساء في عائلته. لم ترغب كوكب في الذهاب إلى السعودية، ولك
وافقت بعد أن هددها ابراهيم باشا بمحاربتها في مصر إذا رفضت. أيامها
السعودية مليئة بالمغامرات والأحداث الشيقة، ولكنها عانت من الملل بسبب
مسؤولياتها. بعد مرور سنة، عادت إلى مصر والى وظيفتها في مستشفى كيتشنر
سنة 1941، أعلنت بريطانيا دخولها الحرب، مما أدى إلى استقالة بعض العاملين
المستشفى. استمرت هي في وظيفتها، فكان حلمها أن أن تتحول هذا المستشفى
مستشفى مصري. وبالتدريج، نما المستشفى، وأصبح هناك ممرضات مصريا
مدربات تدريباً جيداً، ثم تحول المستشفى إلى مستشفى جامعي. أصبحت
الطبيبة الأولى. سنة 1964، أصبح المستشفى تحت إشراف وزارة الصحة. استمر
في وظيفتها حتى سنة 1965، ثم تقاعدت وكرست حياتها لتربية أحفادها.

قراءة الاستراتيجيات السردية

يتيح لنا النص السردي الشفاهي لكوكب حفني ناصف قراءته باعتباره قصة نجا
حديثة، a modern success story. فهذه امرأة، أتيحت لها فرصة الحصول عل
شهادة عليا، الأمر الذي أدى إلى نجاحها في ممارسة مهنة، فاستطاعت أن تشارك
المجال العام بكفاءة وتأثير. ومن ثم، تبرهن قصة كوكب أن النساء قادرات عل
خوض جميع المجالات والتفوق فيها إذا ما أتيحت لهن الفرصة المناسبة. يمك
أيضا، من زاوية التاريخ الوطني، قراءة سيرة كوكب، بوصفها حلقة في سلس
المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي لمصر، لأنها في سيرتها، تعتبر أن الوجو
الاستعماري كان يشكل أكبر عائق في طريقها نحو الاستقلال، على المستو
الشخصي والوطني، والنجاح. ومن ناحية أخرى، نستطيع أن نقرأ سيرتها قرا
مضادة للمنظور الحداثي الذي يكرس ثنائية «الحديث» في مواجهة «التقليدي،» ويرى
أن ما يسمى بالقيود التقليدية المفروضة على النساء والممثلة في التزاماتهن الأس
وأدوارهن التقليدية داخل العائلة «العربية التقليدية» يشكل أكبر عائق لتقدم المرأ

فوفق هذا المنظور الحداثي، تعرف العائلة العربية تعريفا جامدا تسوده نزعة تنميطية، فتصبح «العائلة» هنا رمزا للمجتمع التقليدي الذي يتمسك بقيم مناهضة للتطور والتغيير نحو الأفضل. أو، في قراءة أخرى من منظور نسوي، كان على النساء الرائدات قبول التعريفات والأطر الذكورية التي تقلل من شأن قيمة العمل داخل المحيط الخاص، وفى المقابل تعلّي من قيمة العمل في المحيط العام، الأمر الذي يؤدي إلى تجاهل النساء لأدوارهن في العائلة والتركيز على إنجازاتهن العامة والمرئية.

من المحاذير التي وجب الانتباه لها في قراءة سير الحياة، الوقوع في فخ معادلة التجربة بالحقيقة، أي اعتبار الرواية التي تقدم تجربة ما رواية حقيقية. والمراد هنا ليس التشكيك في مصداقية الراوي أو الراوية، وإنما الهدف هو التذكير بالعوامل المختلفة التي تتدخل في إنتاج المعنى في سياق ثقافي وسياسي محدد. تشمل هذه العوامل اعتبارات شخصية، اعتبارات خاصة بالمكان، بجمهور المستمعين المفترض، بهوية الباحث أو الباحثة، بمنظومة القيم والحقيقة regime of truth المتاحة للراوي/ الراوية، والباحث/ الباحثة. تتواجد هذه العوامل وتتفاعل في سياق ثقافي واجتماعي مليء بالمعاني، والمصالح المتضاربة، وعلاقات القوة المتفاوتة والتوقعات المتغيرة، وأيضا في السرديات الكبرى التي توجه وتشكل القراءات بشكل عام. وفي محاولة لتقديم قراءة تسعى إلى الأخذ في الاعتبار ما سبق ذكره، بالإضافة إلى تجنب، بقدر الإمكان، سطوة السرديات الكبرى، سوف أحاول تقديم هنا قراءة لسيرة كوكب تسلط الضوء على ما تسميه جون سكوت، «العناصر الأدبية»[3] للنص السردي، آخذين في الاعتبار المؤثرات الثقافية والاجتماعية التي تتحكم في عملية تشكيل الهوية. وللباحثتين موجه جوتشك Muge Gocek وشيفا بالاغى Shiva Balaghi مساهمة قيمة في هذا الموضوع، فتركزان على فكرة أننا في حاجة إلى وضع التجربة في سياقها الجغرافي (الشرق الأوسط في هذه الحالة) والمعرفي، أي في سياق قضايا الأصالة والهوية وعلاقات القوة.[4] أما دوروثي سميث Dorothy

---

(3) أنظر جون سكوت، مصدر سابق.

(4) Fatma Muge Gocek and Shiva Balaghi, eds, **Reconstructing Gender in the Middle East: Tradition, Identity and Power** (New York: Columbia University Press, 1994), p. 4.

Smith، فتؤكد على ضرورة الاهتمام بواقع الحياة اليومية للنساء المعنيات.[5] ومن ناحية أخرى، وفي إطار محاولة أدبية لقراءة النص في سياقه الثقافي والاجتماعي، تحدد كاثرين أندرسون Kathryn Anderson ودانا جاك Dana Jack ثلاثة سبل لسماع، أو للإنصات للنص السردي الشفاهي. الأولى تركز على «اللغة الأخلاقية» للنص، حيث يتم تقييم العلاقة أو التوتر بين مفهوم الذات وبين الأنساق الثقافية السائدة. الثانية تنتبه إلى المقولات الفوقية meta-statements التي تكشف المفارقات بين ما هو متوقع وبين ما يقال بالفعل. الثالثة تستكشف «منطق النص السردي»، فترصد مواطن التكرار، والتناقضات، وتداعيات الأفكار، والاختيارات بشكل عام.[6]

أي، عوضا عن الإنصات إلى ما يقوله النص السردي، سوف أحاول قراءة النص من خلال الإنصات إلى كيف يقال ما يقال ولماذا. تستفيد هذه القراءة بصفة أساسية من المناهج النسوية المعنية بقضايا التمثيل representation، التأويل، وتشكيل الهوية. ووفقا لاعتبارات عملية وزمنية، سوف أركز على عنصرين من استراتيجيات النص السردي، وهما: آليات الحذف والتضمين من جهة، والتكرار (العبارات والموضوعات) وتوارد الخواطر من جهة أخرى.

آليات الحذف والتضمين:

عندما وصلت كوكب حفني ناصف إلى نهاية النص السردي، كان لدي مجموعة كبيرة جدا من الأسئلة التي لم تتطرق لها. كان منهجي في إجراء المقابلة منهجا مفتوحا إلى حد كبير، حيث حرصت أن لا أتبع نظاما صارما في طرح الأسئلة

---

(5) Dorothy Smith, **Texts, Facts, and Femininity: Exploring the Relations of Ruling**, (London: Routledge, 1990), p. 5.

(6) Kathryn Anderson and Dana C. Jack, "Learning to Listen: Interview Techniques and Analyses," in **Women's Words: The Feminist Practice of Oral History**, ed. Sherna Berger Gluck and Daphne Patai (London: Routledge, 1991), pp. 18-23.

أنظر Lila Abu-Lughod, "Feminist Longings and Postcolonial Conditions," in **Remaking Women: Feminism and Modernity in the Middle East**, ed., Abu-Lughod, (Princeton: Princeton University Press, 1998), and Omnia Shakry, "Schooled Mothers and Structured Play: Child Rearing in Turn-of-the-Century Egypt," in **Remaking Women**, op. cit.

وفي توجيه مسار الحديث، بقدر الإمكان. طلبت منها أن تحكي لي عن نفسها واهتماماتها، ووضحت لها أنني معنية بتوثيق سير حياة النساء اللاتي ساهمن في الحياة العامة في أوائل القرن العشرين في مصر. كنت مدركة لمخاطر طرح أسئلة توجيهية أو إيحائية توجه السرد نحو المساحات التي أهتم بها كباحثة، أو نحو الاتجاه الذي أفضله. وددت أن أفهم رؤيتها لنفسها، والسبل التي تختارها لتمثل نفسها وحياتها. كنت معنية أيضاً بما تعتبره هي، من وجهة نظرها، مهما، وآليات الاختيار التي سوف تحدد ما يضمّن وما يحذف من النص، والأسلوب الذي سوف تختاره للسرد. ركّزت كوكب على مسار مهنتها في مجال الطب، فكانت تتذكر المواقف والناس المرتبطين بمهنتها. في البداية، أشارت إلى عائلتها، أختها ملك، أبيها، واستعادت بعض الذكريات عن الأزمات التي واجهت العائلة ككل، خاصة حين فقدوا فردين من أفرادها في غضون أشهر قليلة. أشارت أيضاً إلى الفترة التي عاشوا فيها في خوف دائم من سلطات الاحتلال. ولكن، ومع تطور السرد، لفت انتباهي أنها لم تشر إلى زوجها أو إلى عائلتها الصغيرة، بناتها. لم تتطرق مرة واحدة إلى المعوقات الأسرية أو الاجتماعية التي كان عليها مواجهتها كامرأة اختارت أن تتحمل أعباء مهنة صعبة إلى جانب أعبائها العائلية المتوقعة منها كامرأة. لم تستدعِ في سردها أسماء نساء معاصرات لها من الأسماء المعروفة في الحركة النسائية المصرية. وباستثناء الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى بعض التغييرات الإدارية في مستشفى كيتشنر الذي عملت فيه، لم تتطرق إلى أي أزمات أو تطورات على المستوى السياسي العام. وعلى الرغم من تعبيرها الدائم عن مشاعر وطنية عميقة، إلا أنها تجاهلت أغلب الوقت تفاصيل الصراع الوطني، والأحداث السياسية المهمة (ثورة 23 يوليو سنة 1952 على سبيل المثال).

ألحت على بعض الأسئلة المتشابكة. هل كانت قراراتها في الحذف والتضمين واعية أم غير واعية؟ هل تجاهلت الحديث عن زوجها وبناتها لأنها قررت تبني المنهج الذكوري في رواية قصة النجاح، ومن ثم التركيز فقط على الإنجازات في المجال العام، لكي تشق طريقها في عالم يحكمه المنطق الذكوري؟ هل قبلت من داخلها وتواءمت مع النموذج الذكوري للنجاح، فاعتبرت حياتها الخاصة غير مهمة بالقياس إلى حياتها العامة. بالإضافة إلى ذلك، كان أسلوبها في رواية إنجازاتها الرائدة هادئاً إلى درجة تبدو وكأنها غير ملتفتة بتاتاً إلى الصعوبات التي لابد أن تكون

واجهتها في مسار حياتها. هذه الأمر جعلني أسترجع بعض النتائج التي توصلت إليها بعض الباحثات النسويات المعنيات بالتاريخ الشفاهي للنساء، وهي ملاحظات حول اتجاه نساء كثيرات نحو التقليل من شأن أفعالهن، أو تكرار أنهن لم يفعلن شيئا يستحق الاهتمام. فهل نحن هنا بصدد استراتيجية خاصة بالنساء اللاتي اعتدن الابتعاد عن بؤرة الضوء، في المنزل وراء أزواجهن، فيرهبن الظهور ويحوّلن التواري إلى فضيلة تبتغى؟ كل هذه الأسئلة وأسئلة كثيرة أخرى بادرت إلى ذهني من واقع إلمامي بالنظريات النسوية ونظريات ما بعد الاستعمار، خاصة فيما يتعلق بسير النساء باعتبارها سيراً بديلة تعبر عن تصورات مختلفة للذات. أن حدود الاختلاف مازالت تعرف وفق معايير مرجعية تضع الرجل الغربي العالمي كنموذج أمثل. وكما ذكرت، يطرح البحث النسوي في مجال سير النساء فكرة أن النساء عادة ما يملن إلى التقليل من شأن إنجازاتهن، ويبدين تحفظاً في الاعتراف بقدراتهن أو بتميزهن. أيضاً، يفضّل النساء تعريف أنفسهن من خلال علاقاتهن بالآخرين، بدلا من التركيز على هويتهن المستقلة كأفراد.

قررت أن أطرح عليها بعض التساؤلات التي بادرت إلى ذهني. ما هي رؤيتها عن نفسها بوصفها امرأة اختارت مهنة يعتبرها بقية المجتمع في عصرها، مهنة غريبة أو غير ملائمة للنساء؟ كيف تعاملت مع الأنماط الثقافية السائدة عن النساء؟ إلى أي مدى كانت واعية أو غير واعية بمسألة المرأة التي كانت محل جدل واسع على الساحة الثقافية المصرية؟ هل كانت هويتها كامرأة عاملاً معوقاً في حياتها المهنية؟ كيف تختار أن تعرف نفسها؟ هل تعتقد أنه كان من الممكن أن تحقق أشياء مختلفة في حياتها العملية إذا كانت رجلا؟ بعبارة أخرى، ما هو المسكوت عنه في حياتها الذي كتمته أو تجاهلته في النص السردي لحياتها؟ فإلى هذه اللحظة، كان انطباعي أنها تتردد في الحديث عن هويتها كامرأة، وتختار دائما تسليط الضوء على هويتها المهنية كطبيبة.

وجهت إليها سؤالا عن المعوقات أو الصعاب التي كان عليها مواجهتها في حياتها. كان في ذهني الضغوط الاجتماعية والأسرية التي يفترض دائما أنها تشكل عائقاً هائلاً في طريق عمل المرأة. كان جوابها بدون أدنى تردد: الرجال والنساء الإنجليز. اكتشفت أن هؤلاء يمثلون لها السلطة القامعة. أضافت أنه كان عليها طوال حياتها التحايل على غضب واستياء الإنجليز في مصر تجاهها وتجاه ما كانت تمثله

لهم. تتذكر مواقف عديدة كان عليها التحكم بنفسها وعدم التعبير عن مشاعرها الغاضبة، حتى لا تسمح لممثلي الاستعمار أن يحرموها من فرصتها لدراسة الطب. في إنجلترا أثناء البعثة، كانت حريصة كل الحرص على اتباع التعاليم بحذافيرها، والابتعاد عن أي تصرف قد يجذب لها الأنظار، وذلك لكي لا تعطى أحداً الفرصة لتوجيه اللوم إليها، ومحاربتها «لحسن يخطئوني». باختصار، حين سؤالها عن المشاكل أو المعوقات التي كان عليها مواجهتها، كانت دائما تشير إلى ممثلي السلطة الحاكمة التي هددت استمرارها في مهنتها. كان على رأس قائمة السلطة المناهضة لمسارها ممثلو الاحتلال في مصر، مجلس إدارة مستشفى كيتشنر، أو في فترة لاحقة، الموظفون المصريون في وزارة الصحة بعد انسحاب القوات الإنجليزية من مصر.

وبعد أن أجابت على سؤالي الخاص بالمعوقات التي واجهتها، سألتها عن المشاكل المتعلقة بوظائفها الأسرية. ماذا عن عائلتها، وعن مسؤولياتها المضاعفة بوصفها ربة أسرة؟ ماذا عن المعوقات الاجتماعية؟ تزوجت كوكب في سن السابعة والثلاثين، وهي سن متأخرة حتى بالنسبة للنساء الآن. أردت أن أفهم مدى تقبل أفراد أسرتها (أخوتها وزوجها وبناتها وأقارب زوجها) لنمط حياتها. هل عانت من أي تعارض أو صراع بين حياتها الأسرية ومهنتها الطبية؟ كانت كوكب تتجاهل أسئلتي في هذا الصدد، أو كانت لا تسمعها. تجاوب على سؤالي الخاص بالمعوقات، وتروي حادثة موت امرأة أثناء الولادة، وكان عليها مواجهة غضب عائلتها. أعدت المحاولة، وسألتها إذا كانت أمها قد حاولت التدخل في زواجها، وترتيب خطبة مناسبة لها. أجابت أنها كانت تقضي معظم أيامها، وأحيانا لياليها في المستشفى، ولكنها سمعت أمها مرة تناقش موضوع زواجها مع أخوتها، ولكن أحداً منهم لم يفاتحها فيه. في النهاية، تزوجت من طبيب أسنان، وعاشت في نفس البيت مع عائلته (أمه وأخوته غير المتزوجات). كان الوضع مناسباً لها جدا، لأنه أعفاها من مسؤوليات الإشراف على المنزل. سألتها عن علاقتها مع أهل زوجها. أجابت أنها كانت علاقة ممتازة. كانوا فخورين بها، وعاملوها معاملة خاصة، باعتبارها امرأة استثنائية. تدخلت هنا ابنة كوكب ناصف لتقول: «كانت بالنسبة لهم الدكتورة. الدكتورة راحت، الدكتورة جت.» أيضا، كان الزوج رجلاً واسع الأفق لا يكترث كثيراً لما يقوله الناس. تتذكر ليلى الابنة أنه لم يمانع قط في الجلوس إلى جوار

زوجته أثناء قيادتها للسيارة، متجاهلا نظرات الاستغراب التي كانت تلاحقه. «ما كانش يفرق معاه أن الأضواء كانت مسلطة عليها.»

هل كانت لها أي علاقة مع النساء المنخرطات في الحركة النسائية المصرية، وهل كانت تتابع كتابات النساء في ذلك الوقت؟ تتذكر كوكب مواقف قليلة ربطتها مع رموز الحركة النسائية. مثلا، قابلت هدى شعراوي في حفلة أقامتها زعيمة الحركة النسائية لتكريم الخريجات من النساء. فيما عدا ذلك، لم يكن لها أية أنشطة أو صلات مع الحركة النسائية. كان قرار الابتعاد عن أنشطة الحركة ورموزها قراراً واعياً. لقد ابتعدت عن قصد عن كل ما هو سياسي لكي لا تخاطر بمستقبلها المهني. في مستشفى كيتشنر، حيث كانت تقضي معظم وقتها، كانت تقرأ الجرائد الإنجليزية فقط. أما الجرائد العربية، فكانت تقرأها في المنزل فقط، ذلك لأنها كانت حريصة كل الحرص على التظاهر بعدم المبالاة أو عدم الموالاة للحركة الوطنية الصاعدة ضد الاحتلال. كانت على يقين من أن ارتباطها بالحركة الوطنية كان من الممكن أن يضع طموحها المهني في خطر. «لم تكن لي علاقة مع هدى. كنت مندمجة في الطب. كانت روحي في المستشفى. كنت أتابع الأحداث الخاصة بالمرأة، لكن لم أتدخل أو أشارك، لأني كنت محاطة بالإنجليز. رئيسة المستشفى كانت إنجليزية. إذا غلطت غلطة صغيرة، كنت حاتقلب. وكان في بالي أن يوماً ما، سأكون مديرة المستشفى. كنت أحتاط في سلوكي.»

سألتها، كيف تتمنى أن يتذكرها الناس، أو ما هو الشيء الذي تود أن يرتبط اسمها به؟ أجابت، «الطب هو اللي عملني.» أضافت، أنها كرست حياتها لمهنة الطب، وتتمنى أن يتذكرها الناس هكذا. كانت تشعر بفخر لأنها نجحت في تحقيق حلم صعب في وقت لم يكن من السهل للبنات إكمال تعليمهن والالتحاق بالجامعة. أضافت أيضا أنها مقتنعة بأن نجاحها من العوامل التي ساهمت في إقناع الدولة بشأن فتح أبواب الجامعات أمام البنات، كما ساعد على تشجيع بنات أخريات على المضي في هذا الطريق.

رؤى مزدوجة عن الذات: كنت سودة وزربونة، وكنت طيشة.

يتخلل النص السردي لكوكب حفني ناصف تعليقات متناثرة عن سرعة استعدادها للغضب يعقبها ملاحظة عن كيف أنها تعلمت أن تسيطر على غضبها ولا

تظهره لكي لا يتسبب لها في متاعب. يتكرر هذا الموتيف motif الخاص بثنائية سرعة الغضب من ناحية، والدبلوماسية أو التحكم بمشاعر الغضب من ناحية أخرى، وتعبر عنه الراوية في سياق حديثها عن اللحظات المهمة في حياتها، لا سيما في سياق ذكرياتها عن علاقتها ببعض أفراد أسرتها. تستهل النص السردي بالإشارة إلى أختها ملك، فتتحدث عن أثر ملك في حياتها. «بدلتني. أنا كنت بأغضب بسرعة. دايما مقموصة. كانت تعلمني الشعر. أنا أعرف شعر عربي كتير قوي. هي علمتهولي. علمتني. كنت أصغر أخواتي. كانوا يقولوا لي يا سودة وزربونة.» تشير كوكب مراراً في النص إلى هذه الخاصية في شخصيتها، أو بالأحرى إلى تلك الرؤية لشخصيتها من خلال أعين أخواتها. وفي كل مرة، تعتبر كوكب أن أختها ملك كانت صاحبة الفضل عليها لأنها علمتها كيف تتحكم بنفسها، أو كيف تصبح «دبلوماسية» وهو التعبير الذي تفضله كوكب. «خلقتني قبل ما تموت، وعملت مني حاجة بعد ما ماتت. أنا كنت غضوبة، زربونة. السودة الزربونة.»

يظهر هذا الموتيف بوضوح في إطار ذكرياتها عن مواجهاتها مع ممثلي السلطة في مصر، وجهودها الواعية لكبح جماح غضبها لكي لا تعطيهم الفرصة للومها أو تأنيبها، ولكي لا تمكنهم من إيجاد مبررات لحرمانها من مهنتها. أشرت فيما سبق إلى اصطدامها وهي ما زالت تلميذة بناظرة المدرسة الإنجليزية، مس هاردينج، ومحاولاتها إخفاء تمردها أو رفضها للوجود الإنجليزي. أما فيما يتعلق بتجربتها في إنجلترا كطالبة بعثة، فكانت حريصة على ألا تعطي أحداً الفرصة في نقدها بسبب تمردها أو تعبيرها عن مشاعر الاستياء من جراء بعض التصرفات العنصرية التي كانت تشاهدها. ثم، عندما تتذكر كيف أنها أجبرت على السفر إلى السعودية سنة 1938 من قبل علي إبراهيم باشا تقول: «أنا كنت يقال لي سودا. اتغيرت. علمتني أختي أن لا أرد إلا عندما أعيد النظر مرة واثنين. اتعلمت سياسة من أختي.» مرة أخرى، عندما أصبح المستشفى تحت إشراف وزارة الصحة في الستينات، حاول المسؤولون إبعادها. «كانوا مستغربين إن فيه دكتورة. كانوا عايزين يخلعوني، ماتخلعتش. عملوا فصل، شربته.» كانت كوكب تعتبر دبلوماسيتها الواعية سبباً مباشراً لنجاحها في تحقيق أهدافها.

نكتشف أنه كان لهذه الثنائية لرؤيتها لذاتها، أي استعدادها للغضب السريع ودبلوماسيتها، أثر على مواقفها الأخلاقية والسياسية وتقييمها لها. على سبيل المثال،

وبالنظر إلى علاقتها مع الوجود الإنجليزي في مصر، وبالنظر إلى تقييمها لرؤية البعض لها باعتبارها «إنجليزية» في تصرفاتها، نورد الملاحظات التالية: نكتشف أنه عندما تشير كوكب إلى جهودها الواعية لمجاراة ممثلي الاحتلال في مصر وإخفاء مشاعرها الوطنية المعادية للوجود الإنجليزي، كانت تنتقل دائماً لتعبر عن تعاطفها مع رجال مصريين في مواقع مسؤولة في الدولة اتهموا بموالاة الإنجليز. ولكن، ومن وجهة نظر كوكب، كان معظم هؤلاء المسؤولين مضطرين إلى إبداء تعاونهم، وإخفاء وطنيتهم بسبب الظرف السياسي في ذلك الوقت. وبعد أن عبرت عن تعاطفها مع هذا، تنتقل للحديث عن نفسها، وتقول أنها كانت هي أيضاً تعرف كيف تجاري من هم في السلطة لكي تحقق أهدافها. تتذكر في تلك اللحظة وصف مدرستها لها على أنها "shrewd"، أو ناصحة. لم تعرف وقتئذ معنى الكلمة، فرجعت إلى القاموس، ووجدت أنها تعني clever ولكن لم يكن الأمر ذكاء فقط. «ولا ناصحة ولا حاجة. كنت أصبر. وأفكر في جميع الوجوه. لو عملت كده حاروح في داهية. أنا مش حاروح في داهية. أنا عايزه أوصل لحاجة معينة. أجاريها. وأهي مشيت.»

هناك ثنائية أخرى نستشفها في النص السردي لكوكب حين تؤكد في بعض المواقع على عدم أهميتها. «كنت طيشة». وفي مواقع أخرى تفخر بريادتها وإنجازها في مجال الطب. أي كانت «مهمة ومتميزة»، وكانت أيضاً غير مهمة ومهملة في آن. هناك ارتباط بين هذه الثنائية وبين استراتيجياتها التوفيقية conformist. كانت الأخت الصغرى في عائلة مكونة من تسعة أفراد. عندما كبرت وأصبحت شابة، كانت تنام في نفس الحجرة مع أمها. كان تعليقها بخصوص عدم وجود حجرة خاصة بها أنها لم تكن مهمة «كنت طيشة». كانت السنوات الأولى من عمرها مليئة بالأحداث والتقلبات العنيفة. مرت أمها بفترة صعبة كان عليها التكيف مع بعض المتغيرات القاسية، موت ابنة ثم الزوج، ثم اعتقال أبنائها، واضطرارها في وقت ما إلى ترك منزلها والاختفاء من البوليس، فلم يكن لديها الوقت الكافي للانتباه لاحتياجات ابنتها الصغرى. نتذكر هنا أيضاً، أن ملك كانت الابنة المفضلة لأبيها. كانت شخصية مرموقة ومعروفة في المجتمع المصري. هل كان وجُودها وجوداً طاغياً بالنسبة لأخواتها؟ تؤكد كوكب مراراً أنها استمدت قوتها وحكمتها من أختها ملك، حتى بعد وفاتها. عندما سألتها سؤالاً مباشراً عن وجود نموذج يُحتذى به في حياتها، كانت ملك هي النموذج والقدوة التي اختارته. ولكن، إلى أي مدى وجهتها ملك في

مشوار حياتها المهنية والأسرية؟ وكيف نفسر إصرارها على التأكيد على أهمية ملك مقارنة بعدم أهميتها هي؟ من الجدير بالذكر هنا أن كوكب كانت على علم باهتمامي البحثي بكتابات ملك، وكانت قد قرأت مقالة كنت قد كتبتها عن ملك. هل كان إصرارها على تفضيلها الكلام عن ملك في بداية لقائنا استجابة منها لما اعتقدته اهتمامي الرئيسي؟ كما سبق وذكرت، يتضح من حديث كوكب أن علاقتها تدور حول ارتباطها بصورتها عن أختها التي علمتها الحكمة والتحكم بالنفس. ولكن، من الواضح أيضاً أن كوكب لم تحاول قط المضي في الطريق الذي خطته ملك كمناضلة في سبيل حقوق النساء. هل كان أحد أهدافها إثبات تفوقها في مجال لم تطرقه أختها؟ لم تهتم ملك بالانخراط في الحركة النسائية المصرية، كما فعلت أختها، وركزت اهتمامها على مهنتها كطبيبة. عندما نتحدث عن السنوات التي قضتها مديرة لمستشفى كيتشنر، كانت عيناها تلمعان، وتقول بفخر واعتزاز وهي تتذكر كلمات الثناء التي كانت تسمعها من الأطباء والزائرين للمستشفى: «صحيح. كانت حلوة حلوة زي العروسة.» وإذا رجعنا إلى رؤيتها الثنائية، كانت كوكب «طيشة» من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت رائدة الطب في مصر في القرن العشرين.

إذا أخذنا في الاعتبار التكنيك السردي في توارد الخواطر، نكتشف ترديدها لعبارة «كنت سودة وزربونة»، ثم يليها مباشرة التأكيد على دبلوماسيتها وكيف تعلمت التحكم بغضبها، يتكرر دائماً في رواياتها عن مواجهات بينها وبين ممثلي مؤسسات السلطة القامعة. نكتشف أيضاً أنها ربطت، أو انتقلت من حديثها عن تعاملها مع ناظرة المدرسة بنصاحة، أو shrewdly لكي لا تعطيها المبرر لحرمانها من بعثتها، تنتقل بقفزة خيالية إلى إبداء تعاطفها مع المسؤولين المصريين الذين اتهموا بموالاة الإنجليز، وترى أنه فرض عليهم التظاهر بالموالاة لتسيير أمور الدولة. تضحك كثيراً حين تتذكر رؤية الناس لها على أنها إنجليزية في أسلوبها وتصرفاتها. تكشف ضحكتها عن وعيها بالمفارقة بين كرهها للاحتلال الإنجليزي وبين رؤية الآخرين لها باعتبارها إنجليزية. كانت حريصة جداً على إبداء الأسباب التي كانت وراء عدم تورطها في الصراع الوطني، أو في الحركة النسائية. كانت أيضاً مدركة أن ابتعادها كان وراء بعض الرؤى الملتبسة عنها وعن علاقتها بالإنجليز. ولكن، كانت بحكم مهنتها وبحكم انتمائها لعائلة لها تاريخ وطني مشهود محصّنة ضد أي اتهامات مباشرة. أما بالنسبة لعبارة «طيشة» فهي تكشف عن صراع داخلي بين الرغبة في

الانطواء والتقليل من أهمية الذات، وبين سعيها الدؤوب للتميّز ولاختراق أماكن في المجال العام لم تكن متاحة لأغلبية النساء في العصر الحديث.

الخاتمة:

إن عمليات الحذف والتضمين في النص السردي لكوكب حفني ناصف جديرة بالتأمل والتمحيص خاصة فيما تطرحه من تساؤلات حول بعض الافتراضات والنظريات المتعلقة بعمليات التغيير الاجتماعي. أولاً، يمكننا أن نفسر قرارها بالابتعاد عن الساحة السياسية بوصفه شكلا من أشكال الالتزام السياسي في تحقيق هدفها في اختراق مجال الطب والتميز فيه. لقد كان نجاحُها في مهنة الطب تحدياً عملياً للتنميط السائد للنساء في الخطابات الاستعمارية والرجعية عن المرأة. ثانياً، نجد أن ترددها، أو إغفالها الحديث عن أدوارها في داخل الأسرة وعن علاقتها مع عائلتها الصغيرة، لا يعني بالضرورة أنها تبنت، أو أنها استوعبت تعريفاً ذكورياً عن النجاح، وهو التعريف الذي يقلّل من شأن ما تقوم به النساء داخل الأسرة. ففي حديث مع ابنتها تتذكر د. ليلى مدكور الاهتمام الذي كانت تعطيه أمها لتفاصيل حياتهم، ولم يكن لديها أية ذكرى لمشاعر الاستياء بسبب غياب أمها من المنزل لفترات طويلة. وفي حديث آخر مع صديقة مقربة للعائلة، الدكتورة ملك هاشم، تشير إلى رؤيتها لكوكب باعتبارها رمزاً للأمومة. تروي ملك هاشم ذكرياتها عن عطلات قضتها مع عائلة كوكب في مصيف رأس البر، وكيف كانت كوكب تتولى الإشراف على أكل الأولاد، وتحضر لهم الساندويتشات والأطعمة اللذيذة. لم يحدث أن لامها أحد لأنها مشغولة، أو لأنها لا تقضي وقتاً أطول في المنزل. أي لم تكن «أمومتها» أبداً موضع شك أو تهديد.

أتوقف هنا لأدخل وجهة نظر مقارنة، وأطرح فكرة أن الكثيرات من النساء المهنيات في نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين مطالبات دوما بالاعتذار عن، أو فلنقل بإيجاد مبررات قوية، لأنفسهم أو لجمهور متخيل أو حقيقي، لإثبات أن عملهن خارج المنزل لا يؤدي إلى إهمالهن لواجباتهن الأسرية. بعبارة أخرى عليهن بصفة دائمة استجداء صكوك الاعتراف من محيط الأصدقاء والمعارف والزملاء أنهن أمهات فاضلات يرعين أولادهن بالرغم من مسؤولياتهن المهنية. يحدث هذا في سياق ثقافي ومجتمعي يروج لفكرة أن العمل الأساسي

والمقبول للنساء هو عملهن داخل محيط الأسرة - رعاية البيت والزوج والأولاد - وأن أي عمل إضافي يقمن به خارج المنزل لا يجب أن يتم على حساب واجباتهن الأساسية. كان من الواضح في النص السردي لكوكب أنها كانت غير ملتفتة أو غير معنية بتاتاً بهذا الصراع الحداثي بين المحيط العام والخاص، ولم تشعر أنها في حاجة إلى التأكيد على عمق اهتمامها بأولادها. من الممكن أن تؤدي هذه الملاحظة إلى إعادة النظر في بعض الافتراضات البحثية عن وضع المرأة في العصر الحديث، وإلى إعادة صياغة بعض الأسئلة. على سبيل المثال، هل ساعد التحول من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية في تحسين وضع النساء في المجتمع، أو هل ساهم في تقوية موقفهن في الأسرة؟ فنحن نجد أن هناك افتراضاً عاماً أن «اختفاء الأسرة الممتدة» كان من المؤشرات المهمة لقياس تحسين وضع المرأة في الأسرة.[7] في حالة كوكب، كانت الأسرة الممتدة مصدر مساعدة ودعم لها في حياتها المهنية، حيث أتاحت لها حرية الحركة التي عادة ما لا تتوفر للنساء المنتميات لأسرة نووية. بالإضافة إلى ذلك، قد نخلص إلى أن عدم إصرارها على أمومتها، أو عدم شعورها بضرورة تقديم أوراق اعتمادها كأم صالحة، قد يدل على أنها لم تتعرض لسطوة الخطابات الحداثية التي حولت الأسرة إلى مملكة المرأة، وجعلت المرأة ملكتها المتوّجة، وأضفت على الأمومة قيمة عليا، وذلك بهدف التحكم بالأدوار الاجتماعية للنساء والرجال من خلال تعريفها تعريفات جوهرية صارمة. والخلاصة أنه إذا قمنا بدراسة مقارنة بين سير ذاتية لنساء في فترات تاريخية مختلفة، سوف نلقي بالضوء على تاريخية رؤى الذات وعملية تشكيل التصورات التمثيلية.

وعلى نفس المنوال، نتوقف عند وصفها لنفسها بأنها غير مهمة، أو «طيشة»، ثم ما يتبعها من استرجاع مواقفها وإنجازاتها في الطب باعتزاز وفخر. مرة أخرى، نجد ثنائية التمرد/ التبعية، توازيها ثنائية التميز/ عدم التميز. نكتشف أنه من التحديات التي كان على كوكب مواجهتها، تحدٍ خاص بقضايا التمثيل، ورؤية الذات، والمواءمة بين رؤية الذات مع رؤية الآخر عن الذات. كيف يتأتى لنا أن نفهم ثنائية

---

(7) Laila Nawar, Cynthia B. Lloyd, Barbara Ibrahim, "Women's Autonomy and Gender Roles in Egyptian Families," in **Family, Gender and Population in the Middle East**, ed. Carla Makhlouf Obermeyer (Cairo: American University Press, 1995).

التصورات عن سرعة غضبها مع دبلوماسيتها، عن تمردها مع تبعيتها، عن تميزها مع عدم أهميتها؟

أحاول هنا أن أخلص إلى نتيجة محددة، في حين أنه لا يوجد شيء محدد في هذا الخصوص. لقد ركزت على العناصر الأدبية الخاصة بالأسلوب، وتوارد الخواطر، وعمليات الحذف والتضمين، في النص السردي الشفاهي، لكي أقترب بعض الشيء من فهم عمليات تشكيل الهوية، وآليات إنتاج التصورات التمثيلية، وتمثيل الذات. ليس الهدف من هذا الطرح تقديم القراءة الصحيحة، أو القراءة الأفضل، وإنما أردت أن أرصد بعض العناصر والاتجاهات التي قد تلقي ببعض الضوء على التعقيدات والتناقضات الكامنة في عمليات التمثيل وتمثيل الذات في فترة تاريخية معينة. أخيراً، أردت أيضاً أن أخرج قليلاً من أسر بعض السرديات الكبرى التي تسيطر على رؤيتنا للواقع والتاريخ، بل وعلى رؤيتنا لهويتنا.